محاضرة: الخطاب من منظورعلم النفس الاجتماعي والشريعة الإسلامية

أولًا: مقدمة

يُعد الخطاب من الوسائل الجوهرية التي يُعبر بها الإنسان عن أفكاره، ويؤثر في الآخرين، ويُكوّن العلاقات الاجتماعية. وقد أولى علم النفس الاجتماعي والشريعة الإسلامية اهتمامًا عميقًا بالخطاب، كلٌ من زاويته؛ فالعلم يبحث في أثر الخطاب على السلوك والاتجاهات والجماعة، بينما الشريعة ترسّخ الضوابط الأخلاقية والتشريعية للخطاب الإنساني.

سؤال تمهيدي: كيف يؤثر الخطاب على تفكيرنا ومواقفنا؟ وهل هناك فرق بين الخطاب المؤثر والخطاب الصادق؟

ثانيًا: تعريف الخطاب

1. **من منظورعلم النفس الاجتماعي:**

الخطاب هو :**عملية تواصل لغوي تهدف إلى التأثيرفي الآخرين، من خلال محتوى لفظي وغيرلفظي، في سياق اجتماعي معين.**

2. **من منظورالشريعة الإسلامية:**

الخطاب هو :**كل ما يصدرعن المسلم من قول أوكتابة أو إشارة، يُراد به إيصال فكرة أو حجة أو دعوة أو أمربمعروف أو نهي عن منكر، وفقًا لميزان الشرع والأخلاق.**

ثالثًا: مكونات الخطاب (المشتركة بين المنهجين)

1. **المرسِل** :النية، الصدق، الإخلاص.
2. **الرسالة** :الفكرة أو الدعوة.
3. **الوسيلة** :اللغة، الإشارة، وسائل الإعلام.
4. **المستقبِل** :فهمه، حالته النفسية، ثقافته.
5. **السياق** :الزمان والمكان والموقف.

رابعًا: أنواع الخطاب

التصنيف	أمثلة
خطاب ديني	الخطبة، الموعظة، الدعوة
خطاب سياسي	خطاب القادة، الحملات الانتخابية
خطاب إعلامي	البرامج، المقالات، الإعلانات
خطاب اجتماعي	الحوار بين الأفراد، النقاشات العائلية
خطاب رقمي	منشورات التواصل الاجتماعي، الرسائل

خامسًا: أهداف الخطاب من منظور علم النفس الاجتماعي

1. **التأثير** على الاتجاهات والسلوك.
2. **الإقناع** وتعديل المواقف.
3. **الهوية الاجتماعية** :استخدام الخطاب لإبراز الانتماء.
4. **بناء الصورة الذهنية**.
5. **التعبئة والحشد** في المواقف الجماعية.

سادسًا: خصائص الخطاب المؤثر نفسيًا واجتماعيًا

1. **الوضوح** والابتعاد عن الغموض.
2. **الاتساق** مع القيم والمواقف السائدة.
3. **المرونة** في الشكل والمحتوى.
4. **الإثارة العاطفية** (مثل الحماسة، التعاطف، الغضب)
5. **مصداقية المتكلم** :هل هو خبير؟ هل يبدو صادقًا؟
6. **التكرار والتكرار المدروس**.

سابعًا: ضوابط الخطاب في الشريعة الإسلامية

1. **الصدق:**

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) – [التوبة: 119.]

2. **الرفق واللين:**

(فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا) – [طه: 44.]

3. **اجتناب السبّ والشتم:**

(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) – [الأنعام: 108.]

4. **العدل في الطرح:**

(وإذا قلتم فاعدلوا) – [الأنعام: 152.]

5. **النية الصالحة:**

»إنما الأعمال بالنيات« – (رواه البخاري ومسلم)

6. **البعد عن الجدال العقيم والمراء:**

»أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقًا« – (رواه أبو داود)

7. **الحرص على الهداية لا الانتصار:**

(ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) – [النحل: 125.]

ثامنًا: نماذج للخطاب النبوي المؤثر

1. **الخطاب العاطفي–العقلي:**

»يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم، لا أُغني عنكم من الله شيئًا«...
خطاب يمزج بين **العاطفة** و**التحذير العقلي**.

2. **خطبة حجة الوداع**: نموذج شامل للخطاب التربوي الحقوقي الإنساني.
3. **خطابه لليهود والنصارى**: استخدام الحجة والبيان دون عدوان، بل دعوة للمجادلة بالحسنى.

تاسعًا: أثر الخطاب في تشكيل الرأي العام والهوية

من منظور علم النفس الاجتماعي، الخطاب يمكن أن:

- يكوّن **الهوية الجماعية** (نحن ضد هم)
- يستخدم **لغة الاستقطاب** أو **الوحدة**.
- يؤثر في **الصور الذهنية** عن الأفراد أو الجماعات.
- يخلق **تحولًا في القيم** والسلوكيات المجتمعية.

ومن منظور الشريعة، للخطاب دور في:

- **تعزيز قيمة الأمة الواحدة**.
- مقاومة **الفرقة والاختلاف غير المشروع**.
- حفظ **أعراض الناس وكرامتهم**.

عاشرًا: التطبيقات المعاصرة للخطاب في الإعلام والدعوة

1. **الدعوة الرقمية** :خطاب ديني عبر وسائل التواصل – يجب أن يكون مبنيًا على الرحمة، لا على الترهيب فقط.
2. **خطاب الكراهية** :تحذير شرعي ونفسي من خطابات التعصب والطائفية.
3. **التحليل النفسي للخطابات الإعلامية** :كيف يُصاغ الخبر ليُؤثر في عقول المتلقين؟

أحد عشر: مقاربة تكاملية بين المنهجين

المنظور الشرعي الإسلامي	المنظور النفسي الاجتماعي	الموضوع
شرط أساسي لقبول الخطاب	عامل ثانوي إن وجد	نية المتحدث
الدعوة – الإصلاح – نصرة الحق	التأثير – الإقناع – التوجيه	هدف الخطاب

المنظور الشرعي الإسلامي	المنظور النفسي الاجتماعي	الموضوع
يرتكز على الحكمة والموعظة الحسنة والصدق	يرتكز على الإقناع العاطفي والمعرفي	أسلوب الخطاب
رضا الله والصدق والإخلاص واحترام الناس	النفعية أحيانًا	القيم الحاكمة

إن الخطاب من أعظم الوسائل تأثيرًا في النفوس، وقد اهتم به كل من علم النفس الاجتماعي والشريعة الإسلامية بوصفه أداة فاعلة لتغيير الأفراد والمجتمعات. ومن ثم فإن الخطاب الناجح هو ذاك الذي يجمع بين الفاعلية النفسية والشرعية، بين المضمون العميق والنية الصادقة والأسلوب الرصين.